

19 مارس/آذار، 2016

دور مراكز التفكير في الحوكمة الحديثة — ملاحظات
أدليّ بها في منتدى التنمية المعنيّ بالصين 2016
(China Development Forum 2016)

مايكل د. ريتش (Michael D. Rich)
الرئيس والمدير التنفيذي
لمؤسسة RAND

دور مراكز التفكير في الحوكمة الحديثة

أدلى مايكل ريتش، رئيس مؤسسة RAND ومديرها التنفيذي بالملاحظات التالية في منتدى التنمية المعني بالصين 2016 (China Development Forum 2016) في بيجين (Beijing) يوم 19 مارس/آذار، 2016. إن منتدى التنمية المعني بالصين هو مؤتمر دولي رفيع المستوى مُصمَّم لترويج انخراط صانعي السياسات الصينيين الأولين، والأكاديميين الرواد، والمسؤولين الأجانب، والقادة في مجال الأعمال من شتى أنحاء العالم. كان موضوع مؤتمر عام 2016 "الانخراط مع العالم في سبيل الازدهار المشترك" (Engaging with the World for Common Prosperity)، وقد أدلى مايكل بملاحظات بوصفها جزءاً من حلقة نقاشٍ اتَّسمت بحضور قادة مراكز التفكير الدولية.

إنني في غاية السرور لعودتي إلى منتدى التنمية المعني بالصين (China Development Forum) ولأن أكون جزءاً من حلقة مميزة مثل هذه من قادة مراكز التفكير من الصين، وسنغافورة، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة، بمن فيهم صديقي وزميلي روبين نيبليت (Robin Niblett) من تشاثام هاوس (Chatham House). من وقتٍ لآخر، نُطلقُ على مؤسسة RAND تسمية "مركز التفكير المثالي"، لكننا لا نشبه أي منظمة أخرى تحمل هذه العلامة. لذا، فكَرْتُ بأن أكرس بضع لحظاتٍ لأخبركم عن ماهية مؤسسة RAND، وما نفعله، وما هي الأدوار التي نلعبها بالنسبة للحكومات — ثم أختتم ببعض الأفكار بشأن المستقبل. مؤسسة RAND هي مؤسسة غير ربحية، حيادية، أُسِّست قبل حوالي 70 عاماً مضت، بفضل جهود القوى الجوية التابعة للولايات المتحدة (U.S. Air Force) ومؤسسة فورد (Ford Foundation). مهمتنا هي المساعدة على تحسين السياسات العامة وتحسين عملية اتخاذ القرارات من خلال أبحاثنا ودراساتنا. إنني فخورٌ بمهمة مؤسسة RAND لأنها واضحةٌ فيما يتعلق بالوسائل والغايات. إن الأبحاث والدراسات هي الوسائل؛ إنها ما تقوم به مؤسسة RAND، لكنها ليست السبب في وجود مؤسسة RAND. إن غرضنا النهائي هو المساعدة على جعل الناس أكثر أماناً وأماناً وأكثر صحةً وازدهاراً.

ما الذي يجعل من مؤسسة RAND فريدةً من نوعها

إننا في موقعٍ فريدٍ للقيام بهذا الأمر لأن مؤسسة RAND هي مزيجٌ فريدٌ من نوعه من مركزٍ للتفكير، وجامعة، ومؤسسة استشارية. إن الأغلبية الساحقة من مشاريعنا البحثية فيما يفوق 1,500 بحثٍ فُوضت إلينا من قِبَل مسؤولين أوليين في حكوماتٍ ومنظماتٍ دوليةٍ حول العالم. إن تنفيذ الأبحاث والدراسات لصانعي السياسات بشكلٍ مباشرٍ يزيد من احتمال أن تؤدي نتائجنا وتوصياتنا إلى تغييراتٍ إيجابيةٍ في حياة الناس. إننا، من أجل الدفع بتأثير أبحاثنا ودراساتنا إلى حده الأقصى، يجب علينا إيصال نتائجنا وتوصياتنا إلى ما يتجاوز صانعي السياسات أولئك، بمجالٍ كبير. إذاً، تنشر مؤسسة RAND ما يزيد على 700 تقريرٍ ومقالةٍ مجلةٍ سنوياً حول مجموعةٍ واسعةٍ من قضايا السياسات، بالإضافة إلى أكثر من 350 من التعليقات النقدية، ومجلةٍ في السياسات، والمجلة الأكاديمية الرائدة في الاقتصاد الصناعي التي تخضع لمراجعة الأقران. فضلاً عن ذلك كله، نحن نشغل أكبر برنامجٍ للدكتوراه في السياسات العامة في العالم، وهو مُدمجٌ في عملياتنا البحثية بطرقٍ عدة. إن هذا الأمر يُمكننا من تدريس وتوريد مقاربة مؤسسة RAND في أبحاث ودراسات السياسات. إن هذا مزيجٌ قويٌ لتنفيذ مهمتنا، لأنه يجمع بين الدقة الأكاديمية وروح الاكتشاف والابتكار اللتين تتَّصف بهما الجامعة؛ والوصول، والتركيز الحاد على العميل، والقدرة العملية التي تتَّصف بها المؤسسة الاستشارية؛ والمشاركة العامة التي يتَّصف بها مركزٌ للتفكير.

كيف تساعد مؤسسة RAND الحكومات

نتيجةً لذلك، لقد تمكنت مؤسسة RAND من مساعدة الحكومات على كل المستويات في:

- الجمع الأولي للبيانات، ويشمل ذلك الدراسات الاستقصائية المتطورة، والعمل الميداني الموسع، ودراسات الحالات؛
- التحليل التاريخي المعمق، ويشمل ذلك الأساس القانوني والتنظيمي للسياسات؛
- وضع المعايير المعينة للمقارنة المرجعية وقياس مستوى الأداء على المستوى الدولي بشكلٍ موسّع؛
- النمذجة والمحاكاة المتطورة، بالإضافة إلى وضع سيناريوهات المحاكاة؛
- صياغة السياسات وتصميم البرامج؛
- التقييم الشامل للبرامج باستخدام أفضل تحليلاتٍ متعددة الاختصاصات في العالم، يتسم باعتماد منهجياتٍ كميةٍ وكيفيةٍ (وصفية) ومختلطة؛
- الضمان المستقل للتكلفة؛
- وبناء القدرات لصالح العملاء في السياقات الرسمية وغير الرسمية على حدٍ سواء، من بين أمورٍ أخرى.

إنّ أبحاثنا ودراساتنا قد ساهمت مراتٍ عدةً في تحسين الحوكمة في بلدانٍ عديدة. دَعَوني أعطيكم بعض الأمثلة. إنّ مشاريع مؤسسة RAND قد

- عرّفت وقاست وفتت الانتباه إلى مشاكلٍ غير مُدرّكةٍ ولكنها لائحةٌ في الأفق، مثل التكلفة المجتمعية المتصاعدة لمرض الخرف، ومدى الإصابات النفسية والإدراكية من جرّاء القتال؛
- وفّرت أدلةً دقيقةً بشأن أيّ البرامج هو ذو منفعةٍ وأيها ليس كذلك؛
- كشفت حقيقة السياسات التي تحظى بالشعبية ولكنها غير فعالةٍ أو ذات تكلفةٍ باهظة، مثل الحد الأدنى الإلزامي للعقوبة في حال الجرائم؛
- مكّنت الحكومات من القيام بخياراتٍ سليمةٍ في مواجهة ضغوطٍ سياسيةٍ هائلة، كما عندما تضطر إلى أخذ قرارٍ بشأن أيّ المدارس سيُصار إلى إغلاقها أو اتخاذ قراراتٍ مهمةٍ تتعلق باختيار المصادر؛
- ساعدت الحكومات في التعامل مع المشاكل العابرة لنطاقات الصلاحيات البيروقراطية التقليدية، مثل الحد من استخدام الأدوية المحظورة؛
- أنتجت اختراعاتٍ جديدة (مثل نظام تبديل/تحويل رزم البيانات [packet switching])، وتقنياتٍ تحليلية (مثل نظرية المحاكاة، والبرمجة الديناميكية، وبعد ذلك، البرمجة الخطية) كانت مفيدةً في القطاعين العام والخاص على حدٍ سواء.

العقبات أمام عملية صنع السياسات المستندة إلى الأدلة

في تقديري، إنّ التحديات التي تواجه الحوكمة وتلك التي تصدر عنها في ازدياد، وبالتالي، فإنني أعتقدُ أيضاً أنّ القيمة الكامنة في الأبحاث والدراسات المستقلة، كالتّي تتقدّمها مؤسسة RAND هي أيضاً في ازدياد — لكن توجد اتجاهاتٍ موازيةً مسببةً للقلق. دَعَوني أذكر اثنين من أهمها:

- أولاً، إنّ تحليل المشاكل المعقدة والمستعصية في السياسات يستلزم بحثاً وتوثيقاً متأنياً؛ في مؤسسة RAND، هناك على الأقل، مراجعة الأقران؛ وفي كثيرٍ من الأحيان، الاختبار والتجريب. هذا الأمر يستغرق وقتاً. ولكنّ الناس في كل مكانٍ باتوا يستهلكون المعلومات بكمياتٍ أصغر فأصغر. هل سيكون لدى صانعي القرارات المستقبليين الصبر اللازم بحيث ينتظرون من أجل الحصول على تحليلٍ متأنٍ؟

- ثانياً، إنّ الاستقطاب المتنامي في الخطاب والحوكمة العامة يجعل من البحث الموضوعيّ أمراً حيويّاً أكثر مما كان عليه قط، ولكن، هل سيكون المسؤولون المستقبليون منفتحين للأدلة التي قد تتحدى معتقداتهم الأيديولوجية أو مواقفهم المتحيّزة؟ بما أنّ الاستقطاب يقود بشكلٍ متزايدٍ نحو الأزمة، فهل سيظل من الممكن تحويل الأدلة السليمة إلى تطور؟

إذاً، نلخص بقولنا: إنّ دور مؤسسة RAND هو المساعدة في ضمان أن تُصنَعَ القرارات الأكثر أهمية — تلك التي تؤثرُ بأكبر قدرٍ على حياة الناس، وعلى الموارد العامة — باستخدام أفضل الأدلة المتاحة. هذا يعني

- أفضل البيانات، حتى وإن اضطررنا لجمعها؛
- أفضل الدروس من التاريخ؛
- أفضل الخيارات في السياسات، والتي تستند إلى أفضل الأفكار؛
- أفضل الطرق التحليلية، حتى وإن اضطررنا لاختراعها؛
- أفضل الدراسات؛
- أفضل توقع للعقبات أمام التنفيذ؛ وما سوى ذلك.

إنها وصفتُ قد استخدمتها مؤسسة RAND من أجل مساعدة صانعي السياسات وإثارة الجماهير في الديمقراطيات الناشئة، والديموقراطيات الناضجة، والحكومات المَلَكِيّة، والبلدان التي فيها أشكالٌ أخرى من الحوكمة. لقد استمَدَّ صانعو السياسات هنا في الصين منها كذلك، وقد استمَدَدْتُ أنا من هذه المشاريع عندما تحدثت في منتدياتٍ خلال السنوات الماضية. لكنّ عملية صنع السياسات المستندة إلى الأدلة تواجه عقباتٍ أكثر فأكثر، في وقتٍ يتطابق مع الازدياد في جسامه وتعقيد مشاكل السياسات. إنّ تسليط الضوء على دور مراكز التفكير في الحوكمة أثناء مؤتمريّ ذي تأثيرٍ مثل هذا هو تذكيرٌ مفيدٌ بالسبب الذي من أجله يجب مقاومة ونقض ذلك الاتجاه.

أشركم ثانيةً لفرصة المساهمة في منتدى التنمية المعنيّ بالصين (China Development Forum).